

الصفوة المعرفية ودورها في تجاوز المأزق الحداثي عند روني غينون
The cognitive elite and its role in overcoming the modern dilemma of Rene Guinoun

مرزوقي عبد الحميد*، جامعة 8 ماي 1945 قالمة
abdelhamidphilo89@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/09/14 تاريخ القبول: 2025/11/06

ملخص:

تظل الحداثة الغربية واحدة من الثقافات التي شكلت سلة الحضارة الإذسانية إجمالاً، باعتبارها ثقافة لها خصائصها التي تميزها عن غيرها، حيث خاضت الحداثة كفاحاً ضد تغييب الإذسان كذات فاعلة في العالم وكذا سوداوية النظرة التي غلبت عليه في العصور الوسطى الأوروبية وحرمانه من دوره في نطاق ملاء العالم بالجديد وبالإيجابي، فالحداثة إذن هي حركة انفضال، إنها تقطع مع التراث ومع الماضي، ولكن لا لتنبذه وإنما لاحتوائه وإدماجه في مخاضها المتجدد من خلال منطلقات معرفة بنت عليها الحداثة أسسها في عمليات تاريخية وثقافية متشابكة لا يمكن حصرها في زمن معين ولا فضاء مخصوص، هذه المنظومة الفكرية التي قادت إلى بروز أزمت معرفية مستترة الإذسان الحداثي أسسها، مشكلة بذلك انبثاقاً للإذسان يعاني أزمت نوعية، الأمر الذي قاد إلى ظهور عدة مشاريع فكرية نقدية لتساق الحداثة الغربية وتطبيقاتها، ولعل من أهم هذه المشاريع النقدية نجد مشروع الفيلسوف الفرديسي روني غينون من خلاله تحليله لأزمة الحداثة الغربية وتأزمت الإذسان الحداثي، مؤشراً من خلال إنتاجه الفكري المآل الذي ينبغي الوصول إليه مبرزاً آليات تجاوز هذه الأزمة، آخذاً بيد الإذسان الحداثي نحو فضاء جديد يعيد للإذسان خصائصه ومقامه الذي غاب تدريجياً ضمن النسق الفكري

* المؤلف المرسل

الحداثي، م ستر شدا بالحكمة ال شرقية القديمة ووا ضعا ميتافيزيقيا ال شرق واحدة من الممكنات التي تتيح للإنسان الحداثي تجاوز أزماته.

الكلمات المفتاحية: العرفان - الحداثة الغربية - الحكمة ال شرقية - ال صفوة - الشرق.

Abstract: □

Western modernity remains one of the cultures that formed the chain of human civilization in general, as a culture that has its own peculiarities that distinguish it from others, especially since modernity has fought a struggle against the absence of man as an active subject in the world, as well as against the darkness of the view that prevailed over him in the European Middle Ages and deprived him of his role in The scope of filling the world with the new and the positive, then modernity is a movement of separation, it breaks with the heritage and with the past, but not to discredit it, but to contain it and integrate it into its renewed labor through the starting points of knowledge on which modernity has built its foundations in intertwining historical and cultural processes that cannot be confined to a specific time or space This intellectual system that led to the emergence of cognitive crises that mainly touched modernist man, forming the emergence of a person suffering from specific crises, which led to the emergence of several critical intellectual projects for the pattern of Western modernity and its applications, and perhaps the most important of these critical projects is the project of the French philosopher Rene Guinon from During which he analyzed the crisis of Western modernity and the crises of modern man, explaining through his intellectual production the future that should be reached, highlighting the mechanisms of overcoming this crisis, taking the hand of The human being of modernity towards a new space that restores to man his peculiarity and stature that has gradually disappeared within the modernist intellectual system, guided by the ancient Eastern wisdom and setting the metaphysics of the East as one of the possibilities that allow the modern man to overcome his crises.

Keywords: Gnosticism - Western modernity - Eastern wisdom – Elite – orient □

مقدمة:

إن الحديث عن إنسان متأزم يحيلنا ألسا لسا للحديث عن تلك المنظومة الفكرية المتعددة الأبعاد والتي أنتجت هذا الإنسان، فمن المعارف عليه ثقافيا أن تنامي أي خلل في أي مجال معرفي إنما يكون جراءة صطفاً للعديد من الأسباب والدوافع التي تحيل لا محالة إلى تبلور هذا الخلل واكتماله، وبالتالي انبثاق الأزمة المعرفية كمعطى يحتاج إلى فهم في البدء ثم إيجاد آليات التجاوز المفضية إلى تشكل المخرج من سطوة هذه الأزمة، وإعادة التأسيس للبراديغم المتجاوز.

فالحديث عن الإنسان الحداثي هو يقودنا إلى محاولة فهم أسس الحداثة الغربية وتأثيراتها الحضرية على المجتمع الغربي الباعثة والم مشكلة لإنسان له خصوصية والذي يعاني أزمة نوعية، باعتبار أن هذه الأزمة في حقيقتها تعني أن المؤسسات والقواعد التي يقوم عليها هذا المجتمع، والتي كان من المفترض أن تضمن استمرارية حياة البشرية، تستحيل هي ذاتها مصدراً للخلل والصعوبات، فتتعارض بذلك مع تلبية المتطلبات التي ينبغي أن توفرها هذه المؤسسات لأفراد المجتمع الذي أذشأت لغرض تسييره، وبهذا يندشأ الصدام بين أفراد ويحتدم الصراع فيما بينهم، ليمتد أثره في شمل كامل المجتمعات البشرية الأخرى في محاولة لفرض الهيمنة الشاملة وفرض التبعية التامة قصد البحث عن فضاءات امتداد خارجية، تكون سنداً لإشباع الرغبة الجامحة التي تفرسها المادية، والتي لا تجد لها أساساً تتجسد بها غير الصراع والصدام بغرض بسط سيطرة وسيادة شاملة على بقية الحضارات الأخرى جميعها، فالحضارة الغربية الحديثة تدعي كما يقول Samuel Huntington (1927-2008) أنها "الحضارة الوحيدة التي لها مصالح أساسية في كل حضارة أو منطقة أخرى، ولها القدرة على التأثير على سياسة وأمن واقتصاد كل حضارة أو منطقة أخرى (صامويل، 1998، 150)

الأمر الذي أسلمنا بالضرورة الى انبثاق ذلك الإنسان الحداثي المتأزم بالنمط الفكري الذي صاغته الحداثة في الغرب، حيث يعيش أزمة نوعية أساسها البعد الواحد، أي البعد الطبيعي/المادي الأمر الذي قاد إلى بروز الكثير من المشاريع النقدية لهذه المنظومة ولعل من أهم الفلاسفة النقاد لمنظومة الحداثة الغربية نجد مشروع الفيلسوف الفرنسي روني غينون، والذي يربط أبحاثه المستدركة بحضارة العالم الحديث ويقصر تحليله على الأزمة تحديدا في هذه الحضارة، فليس ذلك إلا لأن الثقافة الغربية اتخذت من صفتها المادية الخالصة مستندا لهيمنتها السياسية والاقتصادية على العالم بأكمله، وصارت لا ترى لسواها أدنى مبررات للوسم بهذا الوسم، وهي التي لا تأخذ من صفة الحضارة غير قشورها المادية الصرفة.

وكتجاوز لتجليات الأزمة الحداثية المشكلة لذلك الإنسان الحداثي المتأزم يلجأ روني غينون "إلى التقيب بين تراكمات التراث الإنساني العام وبالأخص التراث الغربي قصد إظهار المعالم والأسباب التي تترد إليها أي أزمة يمكن أن تعترى مجتمعا من المجتمعات البشرية وبالمقارنات الأركيولوجية" (غينون، 2019، 55) "ثم التوجه نحو الشرق وتحديدًا نحو العرفان والميتافيزيقا الشرقية خاصة وأن "الأوضاع الفكرية المهيمنة في الوقت الراهن على العالم الغربي، أمست الميتافيزيقا أمرا منسيا وعموما مجهولا وضاعت ضياعا شبه تام (pierre، 2006، 59)، وضاعت باستبعادها الأبعاد المتعالية للإنسان الحداثي الأمر إلى يقودنا إلى طرح إشكال قوامه: ما هي الأسس والمنطلقات التي يؤسس من خلالها روني غينون مشروعه الفكري؟ وما هي أهم الأدوات التي اتكأ عليها في عملية التحليل؟ وإلى أي مدى يمكن القول بأنه صاغ بديلا يتجاوز أزمة الحداثة الغربية؟

روني غينون فيلسوفا:

روني غينون سابقا ثم يحيى عبد الواحد بعد تبينه العرفان الإسلامي كمنهج في التعاطي مع الوجود "هو ميتافيزيقي فرنسي الأصل، مصري التجنس، ولد ببلدة بلوا الفرنسية في 17 صفر 1304 الموافق لـ 15 نوفمبر- تشرين الثاني 1886م (غينون، 2019، 09)، ذاك أن اختياره لاسم روني غينون نقد يحمل دلالة "ويلخص عبارة وجيزة ذلك هو الطريق الذي سلكه وقاده في هدوء وسكينة بعيدا عن صخب الحياة وصراعاها، يعبد الواحد الذي لا شريك له ويحيى في بحثه عن الحق والحقيقة (العزیز)، و ككل الفلاسفة والمفكرين كانت أولى خطواته التعليمية في مسقط رأسه وانتهى به الأمر إلى نيل شهادة البكالوريا سنة 1904، وفي هذه السنة سار غينون إلى باريس لتحضير الليسانس في الرياضيات وكان يومئذ طالبا لامعا في العشرين من عمره وبرز للعيان تفوقه في الكثير من المجالات ولعل أهمها آنذاك كان مجال الرياضيات.

كانت باريس مفعمة بالمدارس المختلفة المشارب والمتنوعة التخصصات وكانت فيها الماسونية، وكانت فيها المدارس التي تنسب إلى الهند أو إلى التبت أو إلى الصين، وكانت فيها الروحانيون على اختلاف ألوانهم ومشاربهم ونزعاتهم "ولكن باريس لم تدعه يستمر في دراسته المدرسية المحدودة فقد فتحت له أبواب أخرى كلها لذة وكلها نعيم، ولا نقصد لذة حسية أو نعيما ماديا، إنما كانت باريس تمنح ذلك للماديين الحسيين فإنها تمنح لذة روحية ونعيما وجدانيا لمن لم تغرهم الدنيا وزينتها (غينون، 2004، ب)، وفي عام 1915 بدأ في إعداد رسالته في الدكتوراه حول (ليبنيتز والحساب التفاضل)، وفي عام 1917م بدأ الإعداد لدرجة الاجريجاسيون (شهادة الأستاذية) في الفلسفة..

أما نشاطاته الفكرية فقد انطلقت عام 1905م حيث "أنشأ روني غينون مجلة سماها "المعرفة" اتسمت بالطابع العرفاني الذي كانت عليه مجلة أخرى سبقها كانت تسمى -الطريق (غينون، 2004، د)، فيعد تجارب معرفية متنوعة في فرنسا، وفي "سبتمبر 1917 عين أستاذا للفلسفة بجامعة الجزائر ف قضى فيها عاما عاد بعده إلى فرنسا وعين في مدرسة بلده ولكنه استقال بعد عام قضاه في التدريس ليتفرغ لأبحاثه (غينون، 2016، 10)

وبعد أحداث مؤلمة وقعت له بفقدانه للكثير من أقاربه في فترة زمنية قصيرة قد يصعب على أي إنسان تجاوزها، فكر غينون بالسفر فعرضت عليه دار من دور النشر في باريس السفر إلى مصر ليتصل بالثقافة الصوفية فينقل نصوصا منها ويترجم بعضها فقبل بالعرض "ففي العشرين من فبراير 1930م سافر إلى مصر لهذا الغرض وكان من المفروض أن يقضي فيها بضعة شهور فقط، ولكن هذا العمل اقتضى منه مدة طويلة، ثم عدلت دار النشر عن مشروعها فاستمر الشيخ روني غينون في القاهرة يعيش في حي الأزهر متواضعا مستخفيا لا يتصل بالأوروبيين ولا ينغمس في الحياة العامة (غينون، 2016، 12)، وفي هذه الأثناء تعرف على الشيخ سلامة الرازي من الطريقة الشاذلية، ثم تعرف على أهم شخصية أثرت في توجيه الفيلسوف روني غينون، شخصية العارف بالله عبد الرحمان عlish والذي كان له تأثير بالغ مسار غينون الفكري وكذا في سلوكه، حيث كان السبب المباشر في تغيير الذهنية الفكرية للفيلسوف من خلال انتقاله من المسيحية إلى الإسلام "وهو الشخص الذي أهدى إليه غينون أحد كتبه بعبارة (إلى الذكرى الموقرة، ذكرى الشيخ عبد الرحمان عlish الكبير العالم المالكي المغربي الذي أدين له بالفكرة الأولى لهذا الكتاب) (غينون، 2013، 15).

مكث الشيخ روني غينون في القاهرة يؤلف الكتب ويكتب المقالات ويرسل المراسيل إلى جميع أنحاء العالم عامة وإلى أوروبا الحداثية خاصة في حركة دائمة، حركة فكرية وروحانية تشع أنوارها على كل من يطلب الهداية والرشاد، إلى أن وافته المنية يوم "الاثنين الموافق 7 يناير 1951م في الساعة الحادي عشر مساءً عن عمر يناهز الرابعة والستين في مسكنه بحي الدقي (عبد، 2014، 21)، وعرفت جنازته مراسيم متواضعة حيث تشكل الموكب "من الأسرة وبعض الأصدقاء ولم يكن فيها أي شيخ من مشايخ الأزهر (غينون، 2016، 18).

تمظهرات الأزمة القيمية الحداثية وانبثاق الإنسان الحداثي المتأزم.

الفردانية الحداثية وأثرها القيمي عند روني غينون

يتجه روني غينون الى أن النزعة الفردية تعد السبب الحاسم في الانهيار القيمي الراهن للغرب، باعتبارها - نوعا ما - المحرك لتطور أحط ملكات الإنسان التي لا يستدعي في توسعها أي عنصر فوق بشري، بل إن تطورها لا يتم إلا بغياب مثل هذا العنصر، لأنها على النقيض من أي روحانية ومن أي بصير وعرفان حقيقي باعتبار أن "الفردانية تقتضي أولا إنكار الإلهام الروحاني-الوحي الإلهي- من كونه أساسا ملكة -فوق فردية- وإنكار المجال المعرفي الخاص بهذا الإلهام أي الميتافيزيقا بمفهومها الحقيقي، ولهذا فإن كل ما يطلق عليه الفلاسفة المحدثون اسم ميتافيزيقا عندما يقرون بأمر يعطونه هذا الاسم لا يمت بأي صلة مع الميتافيزيقا الحقيقية، فما أفكارهم سوى تنظيرات فكرية أو افتراضية خيالية أي تصورات فردية تماما (غينون، 67)، الأمر الذي سمح بظهور انساق ميتافيزيقية مختلفة، ولعل آخرها التأصيل للدعوى القائلة بقيام ميتافيزيقا للطبيعة والتي عرضها ميكائيل اوزفيلد M Asfeld في كتاب صاغه بهذا الاسم، وقد عبر عنها "جرد بوجدال" Gard bouchdahl في مقال بعنوان "العلم والميتافيزيقا" بقوله اتخذ العلماء الميتافيزيقا وسيلة للإسباغ معنى منطقي على هذا الطلب (الانجليز، 1981، 96).

فالقول بالانفرادية يعني بالضرورة رفض الاعتراف بسلطة أعلى من الفرد، كما تعني رفض الاعتراف بوجود ملكة أسمى من العقل الفردي، وهما رفضان متلازمان لا ينفك احدهما عن الآخر، وكان لزاما على العقلية الحديثة أن تبدد كل سلطه روحية بالمعنى الحقيقي للكلمة أي السلطة التي منبعها في المستوى الفوق بشري ف"نمط الفردانية التي نحن بصدد الكلام عنها هي منبع الأوهام المتعلقة بمن يطلق عليهم الرجال العظماء كما يزعمون، ووصف شخص بالعبقريّة بالمعنى العمومي هو في الحقيقة شيء هين لا يمكنها أن تعوض نقص المعرفة الحقة (غينون، 2014، 69).

وتتجلى أبرز ملامح الفردانية في مجال الدراسات الفلسفية الحديثة فيما يلي:

أ. تفشي الحدس العقلي l entriton intellectuelle، وإحلال العقل فوق كل شيء وبالتالي تم اعتبار هذه الملكة الإنسانية النسبية القدرة الأعلى والاسمي من العقل، بل وأحيانا كان اختزال العقل الخالص في هذه الملكة الجزئية "وكان رجل مثل ديكارت يجسد بكيفية ما المسؤول الوحيد، وأنه هو أول داعية في ذلك (غينون، 71)، إن هذا التقليل للعقل ليس بالأحرى سوى مرحلة أولية في مسار النزول، والعقل نفسه لن يتأخر نزوله كثيرا إلى الدور العملي، ذلك أن التطبيقات الصناعية أخذت زمام المبادرة في السير متقدمة على العلوم التي مازالت تمتلك بعض الخاصية التأملية، بل إن ديكارت نفسه كان أكثر اهتماما لهذه التطبيقات العملية من اهتمامه بالعلم الخالص.

ب. بروز الطبائعية: فالفردانية عند روني غينون تقود حتما إلى النزعة الطبائعية التي ترى أن كل ما وراء الطبيعة لا يمكن للفرد أن يدركه، وبالتالي فالنزعة الطبائعية هي تتطابق مع إنكار ما فوق الطبيعة، ومتى تجوهر الإلهام الروحي لم يبق للميتافيزيقا وجود، رغم محاولات البعض بناء شبه ميتافيزيقا ممكنة كما فعل كانط أو كما فعل أوغست كونت من خلال مذهبه الوضعي، ومن هنا ظهرت النظريات النسبية بجميع أشكالها، ومن هنا يستنتج عبد الواحد أن العقل نفسه وفق هذه المفاهيم لا يمكنه أن يطبق إلا على مجال نسبي كذلك وعليه فإن النسبية هي المحطة النهائية التي ستصل إليها العقلانية بالضرورة وهذه الأخيرة تتصل إلى تقويض نفسها.

ففي النظرية الفردانية انتكس الإدراك إلى الانحصار في أحط أقسامه، وبعد هذا لم تبق سوى خطوة واحدة ينبغي القيام بها من وجهه نظر روني غينون ألا وهي الإنكار التام لوجود البصيرة والمعرفة وإحلال المنفعة مكان الحقيقة، وقد أنجزت الفلسفة البرغمانية هذه الخطوة وهنا حصل الانفصال حتى عن الميدان البشري البسيط المجرد كما هو الحال في العقلانية، وتم السقوط في وحل ما تحت البشرية باللجوء إلى ما تحت الوعي (غينون، 71)، وأحيانا تكشف الفردانية عن نفسها بأحط معنى معتاد للكلمة، ألسنا نرى في كل وقت أناس سيحكمون على أعمال شخص ما من خلال ما يعرفونه عن حياته الخاصة كما لو كان ثمة علاقة بين الشائنين باعتبار "انه شاع الاهتمام بأدق خصوصيات حياة

من يطلقون عليهم لقب الرجال العظماء متوهمين أن تفسير كل ما عملوه يحصل بضرب من التحليل النفسي العضوي لأولئك الرجال وفي كل هذا دلالات واضحة لمن أراد أن يتبين حقيقة ما عليه العقلية المعاصرة (غينون، 71).

سطحية العلم العمومي الدوني الحداثي عند روني غينون.

ينطلق روني غينون إلى أن الحداثة الغربية تظهر في مسار التاريخ كشدوذ حقيقي، فهي الوحيدة من بين كل الحضارات المعروفة لدينا بمقدار يزيد أو ينقص، والتي تطورت اتجاه مادي بحت، هذا التطور الشاذ الذي تطابقت بدايته مع ما اتفق على تسميته بعصر النهضة، صاحبه ما كان حتمي الوقوع، هو ارتداد الميدان العرفاني، وقد بلغ انحطاط هذا الارتداد حدا جعل الغربيين اليوم لا يعرفون ما يمكن أن يكون العرفان الخالص، بل لا يخطر في بالهم أبدا إمكانية وجوده، ومن هنا نجم ازدراؤهم، لا للحضارات التراثية فحسب بل أيضا للعصر الأوربي الوسيط، لذلك تصعب عملية تبيان أهمية المعرفة المعنوية لأناس لا يفقهون ماهيتها، باعتبار أن العقل المفكر في العالم الغربي ليس سوى وسيلة للتأثير على المادة وإخضاعها لغايات نفعية عملية، "والعلم عندهم بالمفهوم الضيق الذي حصروه فيه لا قيمة له بالأخص إلا بمقدار قدرته على بلوغ تطبيقات صناعية، فأنى لهم فهم قيمة وثمرة معرفة تأملية خالصة (غينون، 2016، 55).

وبكل صراحة يقر روني غينون بأن الكثير الفلاسفة والمفكرين يعززون وجود العلم العمومي الذي يقف عند شكليات الأمور، فيكفي المرء النظر حوله ليدرك أن ذهنية الأغلبية العظمى لمعاصرينا هي على هذه الشاكلة "والدراسة الفاحصة للفلسفة بدءا من بيكون (1561-1626م) وديكارت (1596-1650م) لا يمكن إلا أن تؤكد ما أثبتناه، ويكفي أن نذكر أن ديكارت قد حصر الإدراك العقلي في الفكر، وأسند إليه دورا وحيدا متعلقا بما ظنه إمكانية تسميته بالميتافيزيقا (أي ما فوق الطبيعة) ليكون أساسا للفيزيقا (علوم طبيعية) التي نهايتها الأساسية حسب فكره لإنشاء العلوم التطبيقية كعلم صناعة الآلات (الميكانيكا) ودراسة قوانينها (غينون، 2016، 56).

ومن هنا يتضح وجود فيما يتعلق بالعلوم مفهومين مختلفان بشكل جذري بل متعارضان، ويمكن تسميتهما بالمفهوم التراثي والمفهوم الحديث، "وفي كثير من

الأحيان كانت لنا فرض الإشارة إلى العلوم التراثية التي كانت موجودة خلال العصور القديمة والعصر الوسيط، وهي لا تزال موجودة في الشرق (غينون، 2014، 53)، فالمفهوم الحديث يؤسس لفصل جذري للعلوم عن أي مبدأ علوي بحجة الحفاظ على استقلاليته، حيث سلب عنها كل دلالة عميقة بل كل فائدة حقيقية في مجال المعرفة، فالتطور الذي يحدث في ميدان العلم الطبيعي العمومي لا يعني مزيدا من التعمق كما يتخيله البعض فهو بالعكس ماكث في السطح، ولا يتضمن سوى المزيد من ذلك التشتت في التفاصيل، وإلى التغلغل في التحليل العقيم المضني الذي يمكنه الاستمرار بلا حد دون التقدم خطوة واحدة في طريق المعرفة الحقيقية، "والذي ينبغي قوله هو أن الغربيين على العموم لا يبحثون في العلم من أجل العلم، وإنما مقصودهم الأول ليس حصول معرفة ولو كانت دونية، وإنما هدفهم التطبيقات العملية والدليل على ذلك هو السهولة التي يخلط بها غالبية المعاصرين لنا بين العلم والصناعة، وأكثرهم هم الذين يعتبرون المهندسين النموذج النمطي للعالم (غينون، 57).

فالعلم العمومي الدوني الذي أنتجه الغرب الحديث لم يفقد عمقه فحسب إنما افتقد أيضا صلابته، باعتبار أن ارتباط العلم بالمبادئ يجعله مساهما في ثباتها بالمقدار الذي يسمح به موضوعه، أما إذا انغلق العلم حصريا في عالم التغيير فلن يجد فيه أمرا مستقرا ولا نقطة ثابتة يمكنه الاستناد عليها، وبعدم انطلاقه من أي يقين مطلق يختزل في جملة من الاحتمالات والمقاربات، أو إلى صيغ افتراضية صرفة.

وبالعودة إلى العلم التجريبي الحداثي فسنطرق التساؤل على روني غينون والذي قد يطرحه كل باحث متأمل في الحضارة الغربية الحديثة والذي مفاده: لماذا بلغت العلوم التجريبية بالتخصيص في الحضارة الحديثة تطورا لم تأخذ أبدأ في السابق في الحضارات الأخرى؟ يجيب روني غينون قائلا "إن هذه العلوم هي علوم عالم الحس والمادة، ولأنها تتيح عمليات تطبيقية عملية مباشرة ويصحب تطورها ما نسميه بطيب خاطر "خرافة الظاهرة الواقعية" ويتساوق تماما مع التوجهات الحديثة تخصيصا، بينما الجهود السابقة لم تجد فيه دوافع كافية للتعلم به حد الإعراض عن المعارف من الطراز السامي (غينون، 2014، 58)،

فالحضارة السوية من وجهة نظر روني غينون يمكن فيها تصور وجود علوم مشكلة بمنهج تجريبي ومرتبطة كغيرها بالمبادئ مكتسبة بذلك قيمة نظرية تأملية حقيقية.

وكمثال حي للتباين بين قيمة العلوم في الحضارات التراثية وقيمتها في الحضارة الغربية الحديثة، يقدم روني غينون الرياضيات كنموذج يصدق ما يتجه إليه حيث "أن الرياضيات الحديثة لا تمثل إن أمكن القول سوى القشر من الرياضيات الفيثاغورية أي جانبها الظاهري الصرف، والمفهوم القديم للإعداد أمسى مجهولاً تماماً عند المحدثين، لأن هنا أيضاً اختفى الشطر الأعلى لهذا العلم، وهو الشطر الذي كان يضيف عليه مع طابعه التراثي قيمة عرفانية روحية (غينون، 60، 59)، ويكفي هذا المثال لبيان طبيعة التغيير الذي كان الأصل في العلوم الحديثة، وهو معاكس تماماً لأي تقدم بل هو انعكاس حقيقي للعقل المادي البحث.

سبل تجاوز المأزق القيمي الحداثي من منظور روني غينون:

تشكل الصفة المعرفية ودورها في التغيير القيمي.

تعتبر كلمة ال صفة من الكلمات التي استخدمها كثيراً الفيلسوف في العديد من المؤلفات، حيث ينطلق من التوضيح على أن ال صفة "من بين الكلمات التي تعرضت في عصرنا إلى تعسف غريب وإفراط في استعمالها، إلى حد تطبيقها بأبسط كیفیه على أمور لا تشترك في الشيء مع ما ينبغي تطبيقها عليه (غينون، 2018، 266)، حيث وصلت درجة الابتذال في استعمال لفظه "صفة" إلى استعمالها من طرف الصحفيين حيث توجد عبارة "صفة رياضية" وهذا هو أخطر ما يمكن أن يصل إليه التعسف الذي تخضع له كلمة "صفة"، فعندما نتكلم عن ال صفة فهي لفظة مستوحاة بالضرورة من الطراز الروحي الخالص ولا يمكن تحديدها بأي معيار ظاهري، وهذه الأمور التي لا علاقة لها بالتعليم الظاهري ففي بعض بلدان الشرق يوجد أشخاص أميون لا يعرفون القراءة والكتابة نالوا مقامات عالية في مدارج ال صفة العرفانية (غينون، 173)، فالوصول إلى مقام ال صفة من وجهة نظر روني غينون لم يكن مرتبطاً أبداً بالتعليم الظاهري المتعارف عليه، بل يتعداه إلى وسائل أخرى، فالصفة

التي يفهمها فيلسوفنا غير الصفوة والتي يفهمها الغرب الحداثي "على الراجح قد حصل بلا عناء فهم أن ما نعنيه بهذه الكلمة لا يشترك في شيء مع ما يطلق عليه أحيانا نفس الاسم في الغرب الراهن، وأبرز العلماء والفلاسفة في تخصصاتهم يمكن أن لا يكونوا مؤهلين أصلا ليكون من بين هذه الصفوة بل الراجح أنهم بعيدون عنها بحكم العوائد الذهنية التي يكتسبونها (غينون، 173).

من هذا المنطلق يجزم روني غينون أن للآمي الغير متلقي تعليمًا ظاهريًا الفرصة أكبر من أولئك الذين تشبعوا من هذا التعليم في الارتقاء إلى مقام الصفوة باعتبار أن الترسيبات التي يشكلها التعليم الظاهري "وبصفه عامه توجد إمكانيات مع الآمي أكثر مما توجد عند متخصص في المنظومة من الدراسات المحدودة بالأساس والذي خضع لانحراف ذهني ملازم لتربية معينة، فيمكن أن تكون عند الآمي إمكانيات فهم لا تتقصر عليها سوى فرصة لتطويرها (غينون، 173).

فالصفوة لهذا المعنى لا وجود لها في الغرب في عصرنا من وجهة نظر روني غينون، والحالات الاستثنائية في غاية الندرة وفي غاية العزلة، فلا يمكن أن يرى شيئًا يحمل هذا الاسم، بالإضافة على كون أكثرهم غرباء تمامًا عن العالم الغربي، باعتبار أنهم أفراد ومرجعيتهم الروحية شرقية بكاملها "ففي الشرق وحده يمكن في الوقت الحاضر وجود أمثلة عنها "الصفوة"، يجدر الاستلham منها ولدينا أسباب وجيهة للاعتقاد أن في الغرب أيضًا خلال العصر الحديث سيطرت بعض التنظيمات من نفس هذا النوع لكن لم يتبق منها آثار كافية تمكن من معرفته كيفيه تشكيكها بدقه إلا بمقارنتها مع ما هو موجود في الغرب (غينون، 178).

فإعادة بعث الصفوة بالمفهوم الذي أشرنا إليه سابقا في الغرب الحداثي هي مهمة الغربيين أساسًا، فهم المطالبون بالقيام بالخطوات الأولى والمقصد هنا ليس جميع الناس في الغرب، بل وليس عدد كبير من الأفراد باعتبار أن هذا قد يكون ضارًا أكثر منه نفعًا، ففي البداية يكفي عدد محدود من الأشخاص بشرط أن يكونوا قادرين على الفهم الحقيقي والعميق لكل ما هو مقصود،

فالعربيون مكلفون وحدهم بإدشاء صفوة كالتى عهدناها في الشرق، باعتبار استحالة أن "يؤسس أي تنظيم شرقي فروعا له في الغرب، بل لن يمكنه أبدا إقامة علاقات مع أي تنظيم غربي مهما كان ما لم تتغير الأوضاع تماما، لأن قيامه بذلك لا يمكن إلا مع صفوة مؤسسة وفق مبادئ حقيقة (غينون، 2016، 179)، فحديثنا عن تشكيل تنظيم للصفوة لا يعني بتاتا حصر الصفوة في جملة ضوابط آلية "فكثير من الناس عندما يسمعون كلمه (تنظيم) مباح شر يتخيلون أن المقصود يشبه تشكيل تجمع أو جمعية ما، وهذا خطأ تام، والذي يفكرون بمثل هذه الكيفية يبرهنون عدم فهمهم لما تعنيه المسألة ولا أبعاد نطاقها (غينون، 2016، 176).

فالأساس التي تقوم عليه الصفوة العرفانية هو الميتافيزيقيا الحقيقية، والتي لا يمكن حصرها في نطاق تنظيم محصور أو في نظريه خاصة، فذلك الصفوة لا يمكن أن تتلاءم مع أشكال جمعية تؤطرها قوانين ولوائح واجتماعات وكل المظاهر الخارجية الأخرى التي تستلزمها هذه الكلمة بالضرورة، لهذا فلا احد في الغرب الحديث يعرف كيف تتشكل الصفوة في ظل الأوضاع الراهنة التي تميز المنظومة الغربية "فالسبب في هذه الفوضى كلها هو إنكار وجود الفوارق وبنجز عنه إنكار كل سلم للدرجات الاجتماعية وقد يكون هذا الإنكار في البداية حاصلًا دون وعي واضح (غينون، 2014، 82)، فتشكل الصفوة العرفانية في مثل هذه البيئة التي تسودها الفوضى أمر صعب جدا، ذلك أننا إذا سلمنا بأن هذه الصفوة ستتشكل في الغرب يوما ما "فالراجع أن هذا التحقق لا يزال بعيدا في المستقبل ولا داعي للتشبث بالأوهام، وفي هذا الصدد وعلى أي حال فالذي ننبه عليه هو أن أقوى التنظيمات في الشرق التي تتصرف حقا على المستوى العميق ليست بتاتا جمعيات بالمعنى المعهود لهذه الكلمة في أوروبا (غينون، 2016، 177)

وجوب التقارب بين الشرق والغرب.

لا شك أن روني غينون واحد من أولئك المفكرين الذين يقرون بأن هنالك تباينا شاسعا بين الشرق ببعده الميتافيزيقي التراثي وبين الغرب الحديث القائم على العلم التجريبي المادي، باعتبار أن الحضارة الغربية لا تعترف بأي مبدأ

أعلى بل هي بالعكس لا تقوم في الواقع إلا على إنكار المبادئ، وهي بهذه الذهنية تتجرد من كل وسيلة للتفاهم المتبادل مع غيرها من الحضارات، وذلك لأن التفاهم لكي يكون عميقا وفعالا حقا لابد أن يأتي من فوق أي بالتحديد مع الأمر الذي تفتقده هذه الحضارة الشاذة، ففي الوقت الراهن للعالم ح سب روني غينون لدينا من جانب كل الحضارات التي بقيت وفية لروح التراث الأصيل هي الحضارات الشرقية وفي الجانب الآخر حضارة مضادة للتراث الروحي وهي الحضارة الغربية الحديثة.

فنتيجة لطغيان الذهنية المادية على العالم الغربي الحديث "ظهرت في أوساط معا صرة حول إحياء تراث غربي وال شيء الايجابي الوحيد الذي تتضمنه في ال صميم، هو أن بعض العقول لم تعد را ضية عن الإنكار الحديث للتراث الروحي العرفاني، فهي تدشعر بالحاجة إلى أمر آخر غير ما يوفره صرنا فهي تتلمح إلى إمكانية الرجوع إلى التراث ب شكل أو بآخر (غينون، 2014، 28)، باعتبارها الوسيلة الوحيدة التي تحيل إلى تجاوز الأزمة الحداثية الراهنة ولكن فان هذا الحنين إلى العودة إلى التراث ليس هو روح التراث الحقيقي، فهي ليست في أغلب الأحيان سوى ميل أو مجرد طموح لا ينتج إلا ذهنيات وهمية سطحية عابرة وخالية من كل أساس جاد بسبب عدم وجود أي تراث أصيل يمكن الاستناد إليه، تاه أولئك التراثيون في تخيلهم لتراثيات زائفة لم يسبق لها وجود قط.

فالأفكار ال سائدة حول إحياء تراث غربي إنما هي أفكار غير متدرجة في نسق سوي باعتبار أنها في أغلب الأحيان نابعة من تصور عدائي للشرق، متفاوتة ال صراحة زيادة أو نقصا، وهذه الخلفية في الباعث الحقيقي للذين يريدون الاعتماد على المسيحية، " فهمهم الأول هو البحث عن الخلافات مع الشرق، مع أنها لا وجود لها أصلا في الحقيقة (غينون، 2014، 35)، فهؤلاء الذين ينطلقون من هذه الخلفيات يبرهنون على أنهم لم يفقهوا حقا مضمون المذاهب التراثية، إذ أنهم لم يتلمحوا تطابقها لجوهري الأساسي المستور وراء كل اختلافات الأشكال الظاهرية، وذلك لأنهم فاقدون للمبدأ وخاضعون أكثر مما يظنون

لتأثير العقلية الحديثة التي يريدون مقاومتها، وعندما يستعملون كلمة تراث فإنهم بالتأكيد لا يعنون بهذا المعنى الذي يقصده روني غينون.

وكيفما كان الحال فلو تم الافتراض -ح- سب روني غينون- عودة الغرب بكيفية ما إلى تراثه، فإن معارضته للشرق ستحل تلقائياً ولن يصبح لها وجود "إذ أنها لم تتولد إلا بفعل الانحراف الغربي ولأنها في الحقيقة ليست سوى المعارضة بين العقلية التراثية والعقلية المضادة للتراث. فإن الرجوع إلى التراث سيكون من أو نتائجه جعل التفاهم مع الشرق ممكناً على الفور (غينون، 37)، الأمر الذي نرى له مثلاً شابها في كل الحضارات التي تشترك في المبادئ والحائز على عنا صرماتلة، ولا سبيل للتفاهم بين الشرق والغرب غير هذا، لأن التراث يعد الأراضية الوحيدة التي يمكن أن يقع في نطاقها التفاهم بكيفية صحيحة وقوية، "والروح التراثي الحقيقي مهما كان الشكل الذي يكتسبه هو واحد لا يتغير في جوهره، والأشكال المتكيفة لهذه أو تلك الأوضاع الذهنية الخاصة ما هي إلا تعابير عن نفس الحقيقة الواحدة (غينون، 37).

إن هذا الاعتبار الجوهرى الذي يسطر حالة التقارب بين الشرق والغرب، ولا شيء غير ذلك، إذ ينبغي تجاوز العقلية الحداثية المضادة للتراث وتجاوز استتبعاتها التي تحملها في ذاتها والتي ترى جلياً في الأحداث التي ميزت العالم الغربى الحديث، فالواجب إذن هو إصلاح الغرب وإذا تحقق هذا الإصلاح كما ينبغي أن يكون عليه، أي إحياء تراث حقيقي، فسيكون من نتائجه التلقائية تقارب مع الشرق، فرونى غينون ومن خلال مشروع نقد الحداثة الغربية يساهم بما يستطيع في هذا الإصلاح وفي هذا التقارب، إذا سمح الوقت لذلك باعتبار السرعة الكبيرة التي تتحدر بها الحداثة الغربية نحو كل إسفاف ونحو كل دنو، "وحتى لو كان الوقت متأخراً لتجنب هذه الكارثة، فالعمل المنجز بهذه النية لن يذهب سدى.. وبهذا نضمن الحفاظ على العناصر التي ينبغي أن تتجو من كارثة العالم الراهن، لكي تكون بذوراً لعالم المستقبل (غينون، 2014، 41).

إن التراث الذي يقوم على المعرفة الميتافيزيقية وما تستلزمه من تحقق لكي تكون حقا على ما ينبغي أن تكون عليه، من الأمور الممكنة مبدئيا على الأقل، في كل مكان وزمان، هذا التحقق لن يكون أمرا سهلا في غياب مؤازرة يوفرها الوسط وفي بيئة لا يمكنها سوى تعكير وحتى تدمير جهود الساعي في ذلك، كما هو الحال عليه في العالم الغربي الحديث، وعلى العكس من هذا "فإن الحضارات التي نعتها بالتراثية الأصلية هي منظمة بكيفية يمكن العثور فيها على مساعدة فعالة، وهي بلا شك ليست حتمية بكل صرامة، فشأنها لا يعدو شأن كل ماهو خارجي (غينون، 2019، 61)•

إن ما نسميه حضارة تراثية هي الحضارة التي تركز على المبادئ بالمعنى الصحيح للكلمة، أي التي يكون فيها مجال العقلية المستبصرة مهيمنا على جميع المجالات الأخرى، بحيث يصدر منه كل شيء بكيفية مباشرة أو غير مباشرة، وسواء كان المقصود علوما أو مؤسسات اجتماعية، فما هي في النهاية سوى تطبيقات عارضة وثانوية تابعة لحقائق الاستبصار الخالصة، فعودة العالم الغربي إلى التراث الروحي "هو حقا العودة إلى المبادئ، لكن يجب طلبها الانطلاق من استعادة معرفة المبادئ. فمن غير الممكن إعادة إنشاء حضارة تراثية في جملتها إذا لم تتم أولا حياة المعطيات الأولى والأساسية المشرفة عليها والمسييرة لها، وإرادة أخذ المسألة على غير هذا النحو، هو العودة مرة أخرى إلى إيلاج الالتباس والارتباك في المحل الذي نريد إزالته (غينون، 2016، 157)، فلا يتم أبدا فعل أي شيء جدير بالقبول والاهتمام نحو التقارب بين الشرق والغرب إذا لم تبدأ من هنا، فلذا ما على العالم الغربي الحديث الرجوع إلى ميدان التحقق الروحي النابع من التراث رغم أنه غير مدرك بالحواس، وربما يكون هذا صعب التصور عند الذين لم يعتادوا عليه•

وكنقطة لالتقاء الشرق بالغرب وتجاوز الأزمة الحداثية في الغرب الحديث، يقدم روني غينون فكرة تجاورية تعيد إحياء التراث الروحي في العالم الغربي، حيث يدعو ببساطة إلى التراث الديني كما كان عليه في العصور الوسطى، مع تكييفه في المجال الاجتماعي الراهن، حيث يقترح "إعادة إعطاء الحاكمية للكاتوليكية كما كانت عليه في العصور الوسطى وإعادة إنشاء شكل ملائم للأمة المسيحية الأصيلة، التي حطمها الإصلاح والأحداث التي تبعتها لو كان بالإمكان التحقيق الفوري لهذا التصور، لكان هذا الاختيار أمراً معتبراً، بل حسناً جداً لعلاج فوضى العالم الحديث الرهيبة (غينون، 2016، 169)، ولكن هذا الأمر ليس بالأمر السهل باعتبار العوائق التي قد تصب لكل دعوة دينية، هذه العوائق التي تتعدد وتتنوع، وحتى لو افترضنا أن في حياة الذين يريدون القيام به الوسائل اللازمة، فلن يكون ذلك أقل طولاً في الزمان، ولا أقل إرهاقاً، ولن تكون أبداً نتائج أكثر عمقا.

الغاية:

كتجاوز لهذا النسق الحداثي القيمي المفضي إلى تشكيل ذلك الإنسان المتأزم المتأزم والمذهول عن الغاية السامية للوجود إجمالاً، يقترح روني غينون وجوب العودة إلى منابع الحكمة الشرقية القديمة، وإعادة الاعتبار للميتافيزيقا الشرقية باعتبارها "المعرفة فوق العقل حدسية ومباشرة، وهذا الحدس الروحي الخالص، الذي بدوره لا وجود لميتافيزيقا حقيقية، لا ينفي بتاتا تشبيهه بالحدس الذي يتكلم عليه بعض الفلاسفة المعاصرين، لأن هذا الأخير بالعكس هو حدس تحت العقل (غينون، 62)، هذه الميتافيزيقا التي تعيد بعث الجانب الباطني والروحي في الإنسان الأمر الذي يلزمه بإعادة ترتيب فهمه للوجود.

فالفارق بين ال شرق والغرب بمعناه الحديث عند عبد الواحد هو فرق شاسع باعتبار أن ال شرق محافظ على التراث الروحي العرفاني مع كل ما يستلزمه، في حين أن الغرب يملك في منظومته الثقافية نسيان وفقدان لنفس التراث، كما أن في جانب ال شرق توجد صيانة للمعرفة الميتافيزيقية وفي الغرب جهل مطبق بكل ما يتعلق بهذا الميدان، فالحاضر ضارقات التراثية تفتح لنخبها الروحية الإمكانات التي حاولنا توضيحها وتوفر لها أحسن الوسائل الملائمة لتحقيقها الفعلي.

فالتفوق المادي للغرب الحديث لا نزاع حوله ولا أحد يسعى لانتزاعه منه، ولكن لا أحد يحسده عليه إلا من بهرته المغريات المادية، بل ينبغي أن نذهب أبعد من ذلك: إن التضخيم المادي المفرط يو شك عاجلاً أم آجلاً أن يهلك الغرب أن لم يتدارك وضعه في الوقت المناسب ولم يتجه بجد للعودة إلى الأصول أي الحكمة الشرقية وتفعيل معانيها لتجاوز ذلك الإذسان الحداثي المتأزم والخالٍ من الثقل الإذساني إلى إعادة بعث إذسان يركز المبدأ المتعالي ومتعدد الأبعاد يسمو عن كل الموجودات.

قائمة المراجع:

- Jean pierre. (2006). Rêne GUINOUN ,les enjeux d'une lecture. paris ,france : Edition Dervy.
- جماعة من الفلاسفة الانجليز. (1981). طبعة الميتافيزيقا. (كريم متى، المترجمون) بيروت، لبنان : منشورات عويدات.
- خالد عبده. (25 مارس، 2014). www. Mouminoun. Com. (تاريخ الاسترداد 03 جانفي، 2014، من موقع مؤمنون بلا حدود للدراسات.
- روني غينون. (2004). التربية الروحية والتحقق الروحي. (عبد الباقي مفتاح، المترجمون) عمان، الاردن: دار عالم الكتب الحديث.
- روني غينون. (2019). الميتافيزيقا الشرقية. (عبد الباقي مفتاح، المترجمون) الجزائر، الجزائر : المكتبة الفلسفية الصوفية.
- روني غينون. (2016). رموز الانسان الكامل. (عبد الباقي مفتاح، المترجمون) عمان: دار عالم الكتب الحديث.
- روني غينون. (2016). شرق وغرب. (عبد الباقي مفتاح، المترجمون) عمان، الاردن : دار عالم الكتب الحديث.
- روني غينون. (2018). نظرات في التربية الروحية (المجلد 1). (عبد الباقي مفتاح، المترجمون) عمان: دار عالم الكتب الحديث.
- روني غينون. (2013). التصوف الإسلامي المقارن. (عبد الباقي مفتاح، المترجمون) عمان، الاردن : دار عالم الكتب الحديث.
- زينب عبد العزيز. مقالات من رينيه غينون. لقاهرة، مصر : دار الأنصار.